الفصل الثالث

أوربا بين الحربين العالميتين

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى انهار العديد من النظم السياسية فى الدول المهزومة فى حين استقر النظام البرلمانى والمذهب الحر فى الدول المنتصرة. وبالنسبة للدول المنهزمة فقد ظهرت فيها مذاهب سياسية جديدة ذات صبغة متشابهة وصفات مشتركة تتمثل فى احتقار الحرية والنظام الديمقراطى والأنظمة البرلمانية، بحجة أن هذه الأنظمة لم تجد حلولا لمشاكلها، كما أنها أصبحت لاتتلائم، والظروف الصعبة التى يعيشون فيها خاصة وأن ظروف الحرب أدت إلى انحطاطها وفقدانها لرونقها ونتيجة لذلك انفجرت الثورة فى برلين، ونجحت أقلية من الاشتراكيين فى اقامة جمهورية اشتراكية فى المانيا. وفى " هنغاريا" أدى البؤس ونقص التموين والبطالة إلى نمو الحركات المتطرفة مما اضطر ملكها إلى التنازل عن العرش بعد قيام الثورة ضده وأعلن عن قيام حكومة شيوعية فيها ولكنها لم تستمر طويلا لوقوف الحلفاء ضدها. وفى روسيا انتشرت الفوضى بعد قيام الحرب الأهلية فيها وانتابها عدم الاستقرار السياسى، وحدثت العديد من المعارك بين انصار الحكومة البولشفية والروس البيض انتهت باستقرار الشيوعية فى روسيا.

هذا عن الدول المنهزمة وما حدث فيها من تطورات سياسية أما عن الدول المنتصرة كانجلترا وفرنسا فقد سادها الهدوء السياسى، واستقر فيها النظام الديمقراطى المتمثل فى الحرية الفردية فى الفكر والعمل المستمد سلطته من البرلمانات التى تمثل افراد الشعب.

وفيما يلى نعرض للأنظمة الدكتاتورية الجديدة التى ظهرت فى أعقاب الحرب وهى البلشفية والفاشية والنازية، والذى يضعها الكتاب الغربيون تحت صف واحد فيسمونها بالدول الشمولية أو الدكتاتورية Totalitarian State هذا مع ملاحظة أن الشيوعية من جهة والفاشستية والنازية من جهة أخرى اعتبرت نفسها على طرف النقيض الآخر.

أولا: روسيا والثورة البلشفية:

قبل التطرق إلى موضوع البلشفية ينبغى ان نتعرف اولا على احوال روسيا قبيل ظهور البلشفية والعوامل التى ساعدت على انتشارها.

من المعروف ان روسيا بلاد مترامية الأطراف وتمتد حدودها فى قارتى آسيا وأوربا حيث تمتد من التخوم الألمانية إلى حدود الصين وإلى شواطئ المحيط المتجمد وإلى هضاب ايران وجبال القوقاز، وكان القيصر يعد الحاكم المطلق على كل الروس، وارادته هى القانون. ونتيجة للبؤس والتخلف والتعاسة التى كان يحياها الشعب الروسى فقد حاول بعض القياصرة مثل القيصرة كاترين الكبرى تغريب بلادها، وكان للأفكار التحررية الصادرة عن الثورتين الأمريكية والفرنسية صداها فى روسيا، فقد اعتملت فى نفوس بعض النبلاء والطلبة الروس، أفكار العدالة والمساواة بين الناس، وحرية التعبير عن الرأى، والمشاركة فى حكم البلاد، وهالهم الفروق بين معيشة السادة الروس، ومعيشة عامة الشعب الذى كان من حق سادته جلده دون محاكمة، ولم يكن فى روسيا فى ذلك الوقت طبقة وسطى لتصل ما بين طرفى المجتمع.

ولقد قام الفلاحون بثورات خطيرة ولكنها قمعت، كما ثار جماعة من ضباط الجيش ذوى الميول التحررية فى عهد "نقولا الأول" فى عام ١٨٢٥ ولكن قمعت ثورتهم. ومع ذلك استمرت ثورات الفلاحين وفيما بين ١٨٤٥ و ١٨٦٠ هبت إنتفاضات عديدة فى أماكن متفرقة من روسيا قتل فيها الكثير من ملاك الأراضى، ولكى يسيطر القياصرة على الموقف أقاموا شبكة من الجواسيس ونظموا شرطتهم السرية وجعلوا من سيبريا منفى لمثيرى الفتن وعندما تولى العرش القيصر اسكندر الثانى كان واسع الأفق، فاعتق العبيد الروس كما أصلح المحاكم، وأنشأ مجالس محلية لتدبير الشئون المحلية مما أغضب النبلاء، هذا إلى جانب أن دعاة الإصلاح كانوا يطالبون بما يفوق إصلاحات القيصر، وبمقتل اسكندر الثانى فى عام ١٨٨٤ استمرت الفوضى فى أنحاء روسيا وتكونت الأحزاب الثورية وازداد أفرادها، وانتشر الفوضويون الذين يئسوا من إصلاح الحكومة، وطالبوا بالقضاء على كل الحكومات وكل الحكام. كما انتشر الشيوعيون الذين يطالبون بتمليك الأراضى والصناعات للشعب، والاشراف عليها لضمان توزيعها على الجميع توزيعا عادلا. وفى الوقت الذى كانت روسيا تتأهب فيه للثورة. استمرت إضرابات العمال. وخلال تلك الفترة كانت أطماع روسيا التوسعية ينتابها الفشل فلم يستطع الروس أن ينتزعوا شبه جزيرة القرم من الأتراك العثمانيين الذين حاربوهم

احدى عشرة مرة كما كان من نتائج التوسع الروسى فى الشرق الأقصى قيام الحرب بين روسيا واليابان فى عام ١٩٠٥ وفيها منى الجيش والبحرية الروسية بخسائر فادحة على يد اليابانيين، مما زاد من تمرد الساخطين. فقامت فى موسكو ثورة مسلحة، وخرج ثلاثة ملايين من العمال مضربين عن العمل، وتمكنوا من تخليص السجناء السياسيين.

ولما استدعت الحكومة قوات الجيش للتدخل رفض رجال الجيش القضاء على هذه الحركة مما اضطر القيصر إلى منح البلاد دستورا وبرلمانا (مجلس الدوما) وعلى الرغم من ذلك قام الفلاحون البالغ عددهم ٧٥ مليونا باضطرابات واسعة الانتشار فى عام ١٩٠٦ وظلت هذه الاضطرابات والرمى بالرصاص تنشط عاما بعد عام حتى سنة ١٩١٤[١] بحيث أصبح يطلق على الروسيا بلاد الاغتيالات والمؤامرات والشرطة السرية، وبقيام الحرب العالمية الأولى ودخول القيصر الحرب ضد ألمانيا كانت البلاد على حافة الثورة، فقد كان هناك جماعات مختلفة من الروس يستعدون لأحداث انقلاب فى أسس الحكم، ولما كانت روسيا غير مستعدة استعدادا كاملا للحرب حيث ينقصها الأسلحة والمعدات فقد أكتسح الألمان الجيوش الروسية مما جعل الوطنيين الروس يستنكرون عجز قيادتهم، وعدم كفاية القائمين بالأمر على تسيير دفة الحرب ويندون بالفساد الذى استشرى فى دواوين الحكومة كما انتشرت الشائعات عن متاجرة النبلاء فى الأسلحة الفاسدة.[٢]، مما أدى إلى وأد الروح المعنوية بين الشعب والجيش على السواء، وقد توالت الهزائم على الجيش الروسى، ووقع الملايين من جنوده فى ميادين القتال بين قتلى وجرحى مما أدى إلى قيام الاضطرابات فى البلاد ووقوع المظاهرات العنيفة التى تطالب بمحاكمة القواد وكبار رجال الحكومة الذين سببوا لروسيا كل هذه الكوارث، وخاصة بعد ان اتضح للجميع أن الانتصار فى الحرب أمر بعيد المنال، ونتيجة لذلك اهتزت صورة القيصر "نيقولا الثانى" بشكل بارز، وبدأ معارضوه فى انتزاع التنازلات منه تنازلا وراء تنازل، وبدأت تراود أذهان الشعب ضرورة تنازله عن العرش وفى ذلك الوقت انتشرت روح التذمر والقلق واليأس فى نفوس الجيش الروسى، مما أدى إلى توفر عوامل الهزيمة وانعدام النظام، وعدم الثقة فى قيادة الجيش. لذلك يمكن القول أن الجيش الروسى كان عاملا من أهم العوامل لقيام الثورة فى روسيا عام ١٩١٧ كذلك كانت أحوال

---

(١) شبنى: تاريخ العالم الغربى، ص ٣٥٨-٣٦٣.

(٢) عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، ص ٢٢٢.

البلاد الاقتصادية تدعو إلى التذمر، خاصة وأن المواد التموينية الأساسية ندرت إلى حد ينذر بالمجاعة. وفى ٨ مارس ١٩١٧ غادر العمال مصانعهم فى بتروغراد وتظاهروا فى الشوارع مطالبين بالخبز وانضم إليهم العديد من الفلاحين.

وقد انتهزت بعض العناصر المتطرفة ذلك الموقف فرفعت الأعلام الحمراء واللافتات الثورية التى تحرض على قلب نظام الحكم. وفى الحادى عشر من مارس حدثت حركة تذمر بين الجند فانضموا إلى حركة العمال وما لبث الموقف ان تطور بأن سيطر الجنود والعمال على العاصمة. واجتمع أعضاء مجلس الدوما وقرروا تعيين لجنة مؤقتة لتسلم السلطة، وفى الوقت نفسه كون العمال المضربون مجلس السوفيت الذى انتخب لجنة تنفيذية مؤقتة لتتسلم السلطة. وهكذا أصبح فى المدينة اثنين من اللجان الثورية كل منهما تدعى السلطة، وقد حدثت محاولات لإدماج اللجنتين فى حكومة واحدة مؤقتة حتى تم ذلك ودخل الوزارة "كرنسكى Kerensky" وهو اشتراكى معتدل. وفى اليوم الرابع عشر من مارس حاول القيصر الوصول إلى بتروغراد ولكن العمال المضربون أجبروا قطاره على التوقف حيث نزعوا قضبان السكك الحديدية. ولما أصدر القيصر اوامره بالاستيلاء على بتروغراد، والضرب على أيدى العصاة رفض قواد الجيش أوامراه خشية اندلاع حرب أهلية وانضمت أغلبية قواتهم إلى الثورة مما اضطر القيصر إلى اصطناع المسالمة بأن حاول تأليف وزارة مسئولة. ولكن الثوار صمموا على تنازله عن العرش فاضطر إلى اعلان تنازله لأخيه الدوق ميخائيل، وعلى الرغم من ذلك فان الملكية فى روسيا بدأت تفقد أنصارها بين صفوف الشعب خاصة وأن الدعوة إلى الجمهورية كانت مطلبا شعبيا. ونتيجة لذلك ذهب وفد من نواب الدوما إلى الدوق ميشيل يطالبونه بالتنازل عن الوصاية فاضطر إلى تلبية نداء الثورة وتسليم الحكم لحكومة مؤقتة، مصرحا بأن اختيار النظام السياسى فى روسيا أصبح منذ الآن من خصائص الجمعية التأسيسية. وهكذا تغير النظام السياسى فى روسيا بطريقة سلمية، وبدون إراقة دماء. ونظرا لأن الحكومة المؤقتة التى تسلمت الحكم كانت تتكون من العناصر البرجوازية وتهدف إلى تأسيس دولة دستورية ديمقراطية برلمانية فان طبقات الروس الشعبية المتطرفة بدأت تنظم نفسها لكى تضرب ضربتها فى الوقت المناسب، فتألفت فى جميع أنحاء روسيا جميعات سوفيتية (سوفيت معناها بالروسية مجلس). وفى تلك الفترة انقسم الروس إلى عدة كتل مختلفة، كتلة كانت أكثر الجماعات اعتدالا وقد أطلق عليها جماعة الاكتوبريين لأنهم كانوا يطالبون

القيصر بتحقيق ما جاء فى تصريح اكتوبر ١٩٠٥ باحترام الحريات الشخصية ومنح مجلس الدوما سلطة واسعة فى سن القوانين وكانوا يؤيدون قيام حكومة مسئولة أمام مجلس الدوما وأغلبية هؤلاء كانوا من الأشراف الأحرار، وهناك حزب الديمقراطيين الدستوريين ويطلق عليهم اسم " الكادت Cadets" وهذا الحزب يطالب بالمسئولية الوزارية واتساع سلطة مجلس الدوما وغالبية أعضائه من الجامعيين، وأرباب المهن والرأسماليين.

أما المتطرفون فهم الثوريون الاشتراكيون، ومعظمهم من الفلاحين، وكان هؤلاء يهدفون إلى نقل الملكية الخاصة إلى الملكية العامة وبذلك تصبح الأرض ملكا للشعب كله.

أما الحزب الديمقراطى الاشتراكى فقد انتشرت أفكاره بين عمال المصانع الذين كانوا يشعرون بالظلم الاجتماعى ويرغبون فى وضع أيديهم على المصانع وطرد الرأسماليين وتقليل ساعات العمل، وزيادة الأجور. وكان هدفهم الأكبر سقوط القيصرية واقامة الجمهورية، وقد انقسم هؤلاء على أنفسهم فى عام ١٩٠٣ حتى أصبحوا مجموعتين فريقا تزعمه لينين هو لايوافق على سياسة الاعتدال او الاصلاح التدريجى بل هدفهم الوصول بالطبقة الكادحة إلى أهدافها واستلام السلطة بالقوة وأما الفريق الآخر فكان أعضاؤه يرون ضرورة كبح جماح الثورة وتطبيق النظام الاشتراكى بالتدريج ولما أخذت الأصوات على هذين الرأيين انضمت الأغلبية إلى لينين. لذلك أصبحوا يعرفون باسم " البلشفيك" وهى كلمة روسية بمعنى الأغلبية أما الفريق الآخر فأصبحوا يعرفون باسم " المنشفيك" بمعنى الاقلية ولما كان البلاشفة يستهدفون تحقيق زعامة الطبقة العاملة، وتحقيق التعاون مع جماهير الفلاحين والسير بالثورة حتى الانتصار النهائى[١]، فقد هاجم لينين الحكومة لعجزها عن معالجة شئون التموين وشئون الحرب. واستطاع أن يجمع حوله الاتباع والانصار من المتطرفين. وأصدر بيانا أوضح فيه برنامج حزبه الذى يتخلص فى الاسراع بعقد صلح عام، ومصادرة الضياع الواسعة وأن تصبح المصانع للعمال أنفسهم. وأن يراقب الشعب الانتاج وتوزيعه. وبينما كان البلاشفة ينادون بمبادئهم كانت الحكومة المؤقتة تعتزم مواصلة الحرب، وعدم التخلى عن الحلفاء معتقدة أن احراز اى نصر يقوى من مركز الحكومة المؤقتة.

---

[١] هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى: تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى، بيروت، دار الفارابى، ١٩٥٤، ص ١٢٧.

وفى أواخر يونيو ١٩١٧ قام الجيش الروسى بالهجوم على الجبهة الألمانية النمساوية ولكنه تحطم أمام القوات الألمانية وتحطمت أعصاب جنوده، وشرعوا يفرون مذعورين. وبينما كان هذا يحدث فى ميدان القتال كانت أحوال روسيا تسير نحو الانقلاب ففى السادس عشر من يوليو بذل البلشفيك أول محاولة جدية لهم لتنظيم الثورة الداخلية فى " بتروغراد" اشترك فى اشعالها عدد كبير من جنود العاصمة المتشبعين بالدعاية البلشفية. كما اشترك فيها مجموعة مسلحة من العمال وقامت المظاهرات تنادى بسقوط الحرب وسقوط الوزراء الرأسماليين كما انتشرت الأعلام الحمراء، ولكن الحكومة تمكنت من إخماد هذه الثورة مما جعل لينين يشعر بضرورة تأييد الأقاليم لحزبه، وأهمية نشر الدعاية بين رجال الجيش أنفسهم.

وفى ذلك الوقت كانت الموقف الحربى لروسيا يسير من سئ إلى أسوأ. كما قامت فى القرى حركات ثورية للاستيلاء على الأراضى. وقامت فى المدن مظاهرات تطالب بالطعام ونتيجة لذلك نشر البلاشفة ندائهم المعروف " السلام للجيش والأرض للفلاحين، والمصانع للعمال". وازداد أنصار البلشفيك حيث انضم إليهم الفلاحون، والعمال، والجنود. فأدرك "لنين" أن الوقت حان لحسم الموقف، فاجتمع باللجنة المركزية للحزب البلشفيكى سرا فى شهر اكتوبر حيث قرر القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة المؤقتة والقبض على اعضائها، وتكوين حكومة جديدة مؤقتة وفى نوفمبر احتلت القوات البلشفية ابنية المرافق العامة فى بتروغراد فى أثناء الليل وفى الصباح صدر بلاغ بلشفيكى يعلن عن سقوط الحكومة المؤقتة والقبض على أعضائها، وتكوين حكومة جديدة مؤقتة أطلق عليها اسم المجلس السوفيتى لوكلاء الشعب، وانتخب لينين رئيسا لهذا المجلس.[1] وكان أول الأعمال التى قامت بها هذه الحكومة هى عقد معاهدة مع المانيا سنة ١٩١٨ بغرض التخلى عن الحرب ضدها والتفرغ لبناء المجتمع الروسى، وتحويله إلى الاشتراكية، ونتيجة لذلك تمكن لنين من التفرغ لتنظيم البلشفية داخل روسيا وإقامة دكتاتورية الطبقة العاملة.

ولكن ذلك الأمر لم يكن سهلا حيث قامت معارضة مسلحة قوية من أنصار القيصرية ومن أعداء البلشفيك للانقضاض على حكومة لينين، وساعدهم على ذلك الدعم العسكرى الذى قدمه الحلفاء الغربيون لهم، حيث ضايقهم تسليم البلشفيك للألمان فاستمر الكفاح محتدما لمدة ثلاث سنوات، مما زاد الأمل فى نفوس العناصر المناهضة للبلشفيك " الروس البيض" وأقدموا

---

(١) البطريق، ص ٢٣٤-٢٣٦.

على تنظيم قواتهم بمساعدة الجيوش الأجنبية لاقامة حكومات بيضاء، وقد تأسست فعلا (حكومة روسيا الشمالية المؤقتة) كما قام غيرهم بتأسيس حكومات أخرى فى جنوب روسيا مناهضة للروس الحمر، ولما اشتد النضال بين الحمر والبيض أحس البلشفيك بخطورة وجود القيصر "نقولا الثالث" وأسرته أحياء حيث أن ذلك يشجع العناصر المعادية للثورة على اعادته فقاموا باعدامه هو وأسرته رميا بالرصاص، ولما بدأت قوات الروس البيض الهجوم واقتربت من مدينة بتروغراد (لينجراد فيما بعد) التحم معها الجيش الأحمر وردها على أعقابها كما تمكن البلشفيك من طرد الحكومات التى تألفت فى أوكرانيا وروسيا البيضاء وقبضوا على زمام السلطة فى الولايات وألفوا بها حكومات تابعة لهم، وأثبتوا قدرتهم فى الاعتماد على سواعدهم فى إقامة دولتهم[1]، ونتيجة لذلك أصدروا دستورا فى ربيع ١٩١٨ تأسست بمقتضاه " جمهورية السوفيت الاتحادية الاشتراكية الروسية" وتقرر أن تكون موسكو العاصمة وأصبحت روسيا دولة اتحادية تستمد قوتها من دكتاتورية الطبقة العاملة.

مما سبق يتضح أن الثورة الروسية قامت نتيجة لعاملين هما:-

١- الظلم والفساد والأزمات الاقتصادية داخل روسيا.

٢- دخول روسيا الحرب دون أى استعداد لها.

وقد نجحت هذه الثورة فى اسقاط الحكومة القيصرية واقامة النظام البولشفى الذى استمد فكره من كتابات ماركس التى تنادى باقامة الشيوعية كنظام يقوم عليه المجتمع، والذى أعلن قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على أساسه.

وفى يناير ١٩٢٤ توفى لنين، وخلفه فى السلطة جوزيف ستالين الذى أعلن مشروع السنوات الخمس الأولى لتصنيع روسيا وجعل الأرض ملكا للدولة، كما أعلن عن خطته القائمة على تحقيق الاشتراكية فى دولة واحدة على خطة الثورة العالمية وفى عهد "ستالين" دخل الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية الثانية.

والمعروف أن جوهر النظام الشيوعى لايتفق مع الملكية الخاصة أو مع وجود الله بل يرى ضرورة هدم النظام الرأسمالى من أساسه ونشر المذهب الشيوعى فى جميع أنحاء العالم، كما ينكر الأديان ويدعوا إلى هدمها، وقد نجح الشيوعيون فى روسيا فى أن يكون

---

[1] جرانت: ص ٣٠٧.

حزبهم هو الحزب الأوحد، وفى أن يكون القوة المسيرة لأمر الحكم فى الاتحاد السوفيتى. وقد استطاع هذا الحزب الوقوف فى مواجهة الرأسمالية الغربية، وتزعم النضال ضدها. ومن المعروف أن النظام الشيوعى هو الوحيد الذى بقى بعد الحرب الثانية بين الأنظمة الأخرى حيث انهارات الفاشية والنازية، وظل هو متربعا على مصائر الشعب السوفيتى حتى ظهرت سياسة جورباتشوف الإصلاحية، فانتهى دوره القيادى وانفرط عقده فى الاتحاد السوفيتى (السابق) وشرق أوربا.

ثانيا: الفاشيـــة فى ايطاليـــا:

كلمة فاشية مأخوذة من الكلمة اللاتينية Fasces وكانت تطلق على حزمة العصى التى كانت تحمل فى الاحتفالات الرسمية أيام الرومان كرمز للسلطان والقوة. ويرجع أسباب قيام هذا النظام فى ايطاليا إلى شعور الايطاليين بالظلم الذى لحق بهم، وخيبة الأمر التى انتابتهم نتيجة لخروج بلادهم من الحرب العالمية الأولى خالية الوفاض. مما نتج عنه اضطرابات فى كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومهد لوقوع الانقلاب الفاشستى عام ١٩٢٢، وكأنه جاء لإنقاذ الموقف. فعلى الرغم من أنها كانت تدخل فى عداد الدول المنتصرة فى الحرب، فانها لم تحصل من مؤتمر الصلح بفرساى سوى على الفتات فقد انتشرت البطالة، وتفاقمت الأزمة التموينية، وظهرت حركات الاضطرابات والعنف، وبدأت الأفكار الشيوعية فى الانتشار. ونتيجة لتعدد الأحزاب المتناقضة فى أهدافها خلال هذه الفترة، والأزمة الاقتصادية وتزايد عدد السكان، وعدم وجود مصادر للطاقة مثل الفحم والحديد، وانتشار البطالة، وضعف الحكومات عن كبح جماح الفوضى ظهر " بنيتو موسولينى" بمذهبه الفاشى الذى يقوم على انتقاد النظام الديمقراطى والحرية البرلمانية، ووجد آذانا صاغية من الايطاليين له. ونظرا لأهمية الدور الذى قام به موسولينى فى تغيير الأمور فى ايطاليا نعرض له بشئ من التفصيل.

موسوليـــنى:

ولد بنيتو موسولينى فى ٢٩ يوليو ١٨٨٣ من أسرة بسيطة فكان والده حدادا، وأمه معلمه. وبعد أن انتهى موسولينى من تعليمه، عمل فى حقل التدريس فترة ثم تركه، وسافر إلى

سويسرا حيث زاول أعمالا عديدة كان منها البناء، وكان كثيرا ما يطرد من أعماله نتيجة لعدم رضا رؤسائه عنه، مما حكم عليه بالسجن أكثر من مرة، ومن أجل هذا غادر سويسرا إلى باريس، ولكن المقام لم يطب له هناك فطرد منها بتهمة التشرد وبعدها انخرط فى سلك الجيش ثم تركه وعمل بالصحافة تحت لواء الحزب الاشتراكى الايطالى حتى صار رئيس تحرير احدى جرائده وكان فى البداية من المعارضين لدخول ايطاليا الحرب العالمية الأولى ثم تطوع بعد ذلك للانخراط فيها وأصيب بجراح وبعد الحرب بدأ نجم موسولينى فى الظهور حيث كون حزبه الفاشستى فى عام ١٩١٩ والذى كانت من أهم مبادئه معارضة الأحزاب الرأسمالية والهجوم عليها، والوقوف فى وجه الشيوعية، وتنظيم ايطاليا والدفاع عن مصالحها القومية والاستعمارية، وقد أعلن موسولينى أن هدفه الأساسى هو مصلحة ايطاليا واعادة أمجادها وبعث قوتها ماديا ومعنويا خاصة وأنها الوريث الطبيعى للامبراطورية الرومانية وأنه يجب التعاون، والتكاتف، من أجل انعاش مستقبل بلاده.

وقد أخذت مبادئ الحزب الفاشستى تنمو وتتطور فى أنحاء ايطاليا، واستطاع ان يكسب الايطاليين إلى جانبه ، وخاصة طبقة العمال، كما عمل على تحويل أنصاره إلى جماعة عسكرية لاتساير الطرق الدستورية مثل الأحزاب الأخرى للوصول الى الحكم بل تعتمد على نضالها ، فكون فرقا من الشباب المدرب وجعلهم يحملون شارة خاصة. وعلى الرغم من أن النظام الفاشستى قد أخذ بعض نواحى الاشتراكية كالتأميم إلا أنه كان يبغض النزعة الدولية العالمية التى تميز الشيوعية لذلك شن اتباع موسولينى حربا شعواء على الشيوعيين تحت سمع البوليس الايطالى وبصره وتفاقمت الاضطرابات وأصبحت شوارع ايطاليا مجالا للمعارك بين الفاشيست والشيوعيين، ونتيجة لذلك طلب رئيس وزراء ايطاليا من الملك " عمانوئيل الثالث" اعلان الأحكام العرفية، ولما رفض الملك طلبه قدم استقالته فى ٢٧ من اكتوبر ١٩٢٢ وانقاذا للموقف دعا الملك موسولينى إلى تأليف الوزارة الجديدة تجنبا للحرب الأهلية فزحفت فرق القمصان السوداء على روما، وتقلد موسولينى زمام الامور فقيد حرية الصحف، والحق بخصومه الوانا عديدة من الارهاب فاغتال بعضهم واعتقل البعض الآخر حتى تمكن من الانفراد بالزعامة، واستطاع ببراعته اذكاء حماس الجماهير الايطالية واثارة حميتها وتوليد ثقتها فى بناء ايطاليا القوية، مما جعل الأمة الايطالية تعطى ثقتها الكاملة له فجمع كل السلطات فى يده وأصبح صاحب السلطة فى كل ايطاليا، فهو الذى يعين الوزراء، ويعزلهم

ويقود الجيوش، ولم يعد للملك أى سلطة سوى توقيع المراسيم. وخلال ذلك قام موسوليني باعادة التعليم الديني إلى ايطاليا، كما اقام علاقات ودية مع البابوية، وروج لفكرة أن الدولة والأمة تتجسدان فى شئ واحد هو الحزب، وحتى تتمكن الدولة من التفوق على غيرها فانه يجب على الفرد ان يذوب فى الدولة طوعا أو كرها، ومن هنا حظر قيام الاضطرابات وأخذ فى الغاء الحريات الفردية وشدد من مراقبة الدولة لحياة الخاصة، كحياة الاسرة والحياة الفكرية والدينية وإلى جانب ذلك فقد اصدر موسوليني عدة تشريعات هامة منها حق العامل فى الاحتفاظ بعمله، وحقهم فى المعاش والتعويض عند الاصابة.

و: ح أن النظام الفاشى فى ايطاليا نجح فى زيادة الكفاية الادارية، وزيادة الانتاج الزراعى، باستصلاح الاراضى فى بقاع كثيرة من ايطاليا، وكذلك النهوض بالصناعة والعمل على رفع المكانة القومية لدى الايطاليين، فان معاناة الايطاليين خلال حكم موسوليني كانت واضحة، ونظرا لضعف قدرات ايطاليا الاقتصادية رأى موسوليني ان تصبح لبلاده السيادة على البحر المتوسط، وتطلع إلى الاستيلاء على "رودس" و "ليبيا"، كما أخذ يضغط بقوة لمشاركة فرنسا وبريطانيا فى اقتسام الدول العربية. فدعا إلى مشاركة ايطاليا فى ادارة اقليم طنجة، وإلى تعديل الحدود بين ليبيا ومصر، وإلى تقوية مركز الايطاليين فى تونس.

وكانت لمعارضة الدول الاستعمارية لاطماعه واصطدامه بمصالح انجلترا وفرنسا بصفة مستمرة أكبر الأثر فى تحويله تجاه المانيا النازية، ودخوله الحرب العالمية الثانية بجانبها.

ثالثا: النازية فى المانيا:

تتكون كلمة نازى من كلمتين المانيتين أولهما قومى والثانية اشتراكى، وقد سطر "أدولف هتلر" افكاره حول هذه النظرية فى كتابه " كفاحى" والتى تعد من أهم نظريات الحكم الدكتاتورى الذى برزت صورته قبيل الحرب العالمية الثانية، كما تعبر عن شهوة السلطان والسيطرة التى تغلبت على نفس هتلر، ورغبته فى أحداث ثورة عالمية تمكنه من تنظيم الحياة البشرية على سطح الارض، وفقا للقواعد والمبادئ التى حددها وهى حق الشعب الالمانى فى السيطرة على العالم، والتى كان من الممكن أن تؤدى إلى تمزيق أوصال الحياة الاجتماعية، وضياع معظم المعانى التى تسيغ على الحياة معنى كريما.

ولما كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت بهزيمة المانيا وتوقيع معاهدة فرساى بشروطها القاسية والتى كان لها أكبر الاثر فى معاناة الشعب الألمانى خارجيا وداخليا وأدت إلى حالة من عدم الاستقرار السياسى، وبروز بعض الحركات الانفصالية، فقد استغل هتلر سخط الأمة الالمانية ورغبتها فى الفكاك من معاهدة فرساى التى أثقلت كاهل الشعب الألمانى نتيجة للتعويضات التى أدت إلى دمار الاقتصاد الالمانى وتكبيل ارادته. وبدأ فى الدعوة إلى النازية بحجة أنها الطريق الوحيد لاسترداد حقوق الشعب الألمانى المسلوبة.

ولأهمية الدور الذى قام به هتلر فى تغيير مصير المانيا والعالم نعرض له بشئ من التفصيل:-

١ ولد أدولف هتلر فى ٢٠ من ابريل ١٨٨٩ فى احدى القرى على الحدود النمساوية الالمانية، حيث كان أبوه موظفا صغيرا بالجمارك.

٢- عاش هتلر طفولة بائسة إذ توفى والده وهو فى الرابعة عشرة من عمره، ولم يترك له سوى الفتات، لذلك لم تتح له فرصة التعليم العالى بل ترك دراسته بحثا عن الرزق، وانتقل إلى فيينا من أجل ايجاد فرصة للعمل وهناك عانى الكثير من المصاعب والمتاعب.

٣-كانت القراءة هى صديق هتلر الوفى إذا كان يصرف معظم وقته فى الاطلاع وبفضل المطالعة تبلورت اراؤه، وإلى جانب ذلك كان هتلر من هواة الرسم. وقد اضطرته ظروفه المعيشية الصعبة إلى أن يقوم بالعمل فى زخرفة المنازل وبيع بعض الصور التى يقوم برسمها حتى يقتات من ثمنها.

٤-التحق هتلر بالجيش، وتطور مركزه به خلال الحرب العالمية الأولى فوصل إلى درجة عريف، وقد أصيب فى احدى المعارك بجرح ونقل إلى احدى المستشفيات، للعلاج ولكنه لم يتم تسريحه بعد الحرب بل عمل مع فرق الأمن المكلفة بالرقابة السياسية على الأحزاب وقد اتاحت له هذه الوظيفة الفرصة للتعرف على التنظيمات الحزبية. وقد تأثير كثيرا لهزيمة المانيا فى الحرب، وحمل الخونة أسباب الهزيمة وسماهم " خونة نوفمبر".

٥-كان هتلر يستمع إلى نبوءات العرافين، وقد تنبأ له بعضهم بأنه سيصبح زعيم المانيا.

٦-التقى هتلر فى ميونخ عام ١٩١٩، بحزب العمال وهو الحزب الذى يعتنق آراءه نفسها واستطاع أن ينتزع رئاسته واعطى لانصاره اسما جديدا هو الحزب النازى.

٧- تفرغ هتلر للعمل السياسى وترك الجيش واستفاد من الازمات التى حلت بالمانيا فعندما احتل الفرنسيون الروهر وانخفض سعر العملة الالمانية قام هتلر بأول محاولة انقلابية فى ميونخ والتى كان على أثرها اعلان جمهورية فيمار وترشيح زعيم المحافظين لتولى المنصب ولكن الحكومة المركزية استطاعت القبض على القائمين بالانقلاب وحكم على هتلر بالسجن لمدة ٤ سنوات، وخلال ذلك تزايدت شعبيته، وزاد من عطف الرأى العام الألمانى عليه.

٨-ألف هتلر كتابه "كفاحى" وهو فى السجن وضمنه أهم آرائه السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما ضمنه نظرياته الخاصة التى اتخذ منها فى المستقبل أسس عمله، ومنها ضرورة القضاء على اليهود والشيوعيين الذين مكنوا الحلفاء من الانتصار على المانيا فى الحرب العالمية الأولى.

٩-أطلق سراح هتلر عام ١٩٢٤، أى بعد مضى عام من سجنه نتيجة لضغط الرأى العام، وتزايد عدد أنصاره.

١٠- تولى هتلر منصب المستشارية فى يناير ١٩٣٣ علما بأنه لم يهتم كثيرا بالمناصب الرسمية بل كان يستند على مركزه الشخصى فى الزعامة وكان اللقب المحبب إليه هو الفوهرر أو الزعيم.

١١- كان للنازية مبادئها الفلسفية حتى عدها بعض النازيين دينا جديدا وقام هتلر بتغيير كل شئ فى المانيا فحطم الحرية السياسية وغير اقتصاديات المانيا وماليتها والغى نظام الولايات المنفصلة وجعل المانيا أمة موحدة وصمم على تحريرها من قيود معاهدة (فرساى) وقد رسخ فى ذهن هتلر ملاحظات استاذ التاريخ (دكتور ليوبولد وتش) ان النمسا جزءا لا يتجزأ من المانيا وأن زوالها بوصفها دولة مستقلة امر ضرورى للأمة الألمانية.

١٢- لقد تمكن هتلر من السيطرة على المانيا مستغلا نقط الضعف فى جمهورية فيمار وعدم قدرتها فى السيطرة على الازمة الاقتصادية التى تعرضت لها المانيا إذ كان يعمل على إثارة الرأسماليين والاشتراكيين بالتبادل كل منهما ضد الآخر متظاهرا بالتحول فى اتجاه واحد ثم فى الاتجاه الآخر ولذلك تمكن من الوصول إلى هدفه بعدة خطوات غير مباشرة.

١٣- أخذ هتلر يجامل الضباط القدامى حتى أقسموا له يمين الولاء، ويمين الولاء الذى قام هتلر بتأليفه هو (أقسم بالله هذا اليمين المغلظ أنى سأطيع طاعة عمياء فوهرر المانيا والشعب أدولف هتلر القائد الأعلى للقوات المسلحة وأكون مستعدا كجندى شجاع أن أبذل حياتى فى اى وقت دفاعا عن هذا القسم) وقد ارتبط الجيش والشعب الألمانى بهذا القسم وأصبح مرتبطا قلبا وقالبا مع هتلر.

١٤- سارع هتلر فى حل الأحزاب الألمانية ومصادرة أموالها، كما عمل على القضاء على المعارضة داخل الحزب النازى.

١٥- لقد نجح هتلر فى بناء الآلة العسكرية الالمانية وهو صاحب فكرة تطور الأسلحة والأفكار الحديثة فى الحرب خفيفة الحركة وينسب إليه التمهيد لظهور فكرة الحرب الخاطفة التى نجحت فى بولندا وفرنسا كما رحب القادة العسكريون باحياء هتلر للقومية الالمانية واذكائه للروح العسكرية واشعاله للشعور الوطنى.

١٦- لعبت النازية دورا هاما وبارزا فى الحياة الالمانية التى استطاع صاحبها بطموحه وحبه للمغامرة وقوة ارادته وموهبته الخطابية وقوة بيانه، وقدرته فى استعمال التهكم ان يجذب إليه الشعب الألمانى بشكل يفوق الوصف، ويرسخ فى ذهنه أن جيشه هو اساس تقدم الحضارة البشرية وان الجرمان هم سادة الجنس البشرى الذى قدر لهم من الأزل ان يؤلفوا الطبقة الحاكمة فى العالم، وانه يجب نقاء الدم الآرى لأن الأمة الالمانية لاتكون قوية الا إذ عرفت كيف تحافظ على نقاء عرقها، كما أنه لايمكنها سيادة الجنس البشرى إلا إذا كانت ارادتها فى يد زعيم أوحد قوى تساعده نخبة من أقدر العقول وأبرزها فى المانيا حتى يتمكن الجرمان من سيادة الجنس البشرى، وانشاء المانيا الكبرى التى تضم كل الالمان، وأنه فى سبيل تحقيق ذلك يجوز لالمانيا الا تتمسك بمبادىء القانون الدولى باحترام المعاهدات او غير ذلك.

ولما كان الشعب الالمانى يرغب فى إزاله العار الذى لحق به من معاهدة فرساى ويأمل فى أن يعاد إلى المانيا استقلالها وسيادتها الفعلية وأن تسترد الأراضى التى فقدتها فى عام ١٩١٩ فقد رحب بوصول هتلر إلى الحكم، واتجهت الانظار إليه وإلى حزبه الذى تتلخص أهدافه فى بعث الأمة الألمانية واحياء مجدها الحربى.

وبعد وفاة الرئيس هندنبرج فى أغسطس ١٩٣٤ أصبح هتلر هو الرجل الأول فى المانيا حيث جمع بين رئاسة الدولة، ورئاسة الحكومة. ووافقت البلاد على ذلك فى استفتاء علم بأغلبية كبيرة. ومن هنا بدأ هتلر فى تكوين الرايخ الثالث.[1]

ويعد الرايخ الثالث وزعيمه هتلر صورة من صور الحكم المطلق المتطرف، فهتلر كان الزعيم الأوحد، وحزبه هو الحزب الوحيد، فما انتصف عام ١٩٣٣ حتى كانت جميع الأحزاب غير النازية قد حلت. وأصبحت وظيفة الريخستاج هى الاجتماع للموافقة على أعمال الزعيم.

وكان على الألمانى ان يختار بين أن يكون نازيا أو أن يصبح خائنا، وحتى يرهب هتلر خصومه قام بتشكيل منظمات الكفاح المكونة من الحرس الأسود، وذوى القمصان الحديدية، كما قام باضطهاد اليهود، والديمقراطيين الاشتراكيين، والشيوعيين، وأخذت طوائف كبيرة منهم إلى معتقلات خاصة لاقوا فيها من العذاب أقساه كما اغتيل الكثيرين منهم.

هذا عن النواحى الداخلية. أما عن النواحى الخارجية فقد انتقد هتلر فرنسا ووصفها بأنها العدو الأول لالمانيا الذى يجب سحقه، وطالب بضم الاقليات الالمانية إلى الرايخ الثالث، ونظر إلى شرق أوربا على أنه مجال واسع لاطماع بلاده، يضاف إلى ذلك أنه قام بتسليح المانيا سرا، كما بدأ فى انشاء سلاح جوى لبلاده، مما كان تحديا واضحا لشروط معاهدة فرساى.

ولكى يمتلك هتلر حرية الحركة بشكل واسع قام بالغاء معاهدة فرساى التى عدها المسئولة عن كل المصائب التى لحقت بالمانيا فكسر بذلك نظام نزع السلاح وأدخل نظام التجنيد الاجبارى فى المانيا بهدف اعادة قوة المانيا العسكرية وتوطيد سيادتها، وحاول ضم الاقاليم الأوربية الناطقة بالألمانية إلى الريخ الثالث، ولما كانت عصبة الأمم هى العقبة أمام هتلر فى تحقيق هذه الأهداف فقد انسحب منها مما أدى إلى تدهور الموقف، وفيما يلى نعرض لهذه المراحل بالتفصيل.

---

[1] من أقوال هتلر المأثورة أن الريخ الأول هو دولة بسمارك، والريخ الثانى هو جمهورية فرساى، والريخ الثالث هو دولتى.

١ - كسر نظام نزع السلاح:

من المعروف ان معاهدة فرساى نصت على تجريد المانيا من السلاح، وعندما استطاع هتلر الوقوف إلى قمة السلطة فى المانيا طلب من عصبة الأمم الاعتراف بحق المانيا بالمساواة فى الحقوق مع الدول الأخرى من حيث التسلح، خاصة وأن المعاهدة حينما فرضت على المانيا نزع سلاحها اعتبرت ذلك مقدمة لنزع السلاح الشامل.

ولما احتدمت المناقشات داخل أروقة العصبة بهذا الخصوص وأعلنت بريطانيا وفرنسا معارضتها لهذا الطلب أعلن هتلر انسحاب بلاده من عصبة الأمم فى اكتوبر ١٩٣٣ وتحررها من كافة المواثيق والمعاهدات التى كبلت حرية بلاده وتفوقها.

٢ - فرض الخدمة العسكرية:

فرض هتلر نظام التجنيد الاجبارى فى المانيا على الرغم من قيود معاهدة فرساى بخصوص عدم اعادة بناء الجيش الالمانى، كما أعلن انه سينشئ طيرانا عسكريا، مما أزعج الدول الأوربية، وأدى إلى احتجاج بريطانيا وفرنسا وايطاليا وبعض الدول الموقعة على المعاهدة.

٣ - محاولات هتلر ضم الاقاليم الاوربية الناطقة بالالمانية:

لما كانت منطقة السار قد فصلت عن المانيا بموجب معاهدة فرساى ووضعت تحت إدارة عصبة الأمم حتى يتم عمل استفتاء بين سكانها، فقد طالب هتلر باعادتها دون استفتاء ثم قبل الاستفتاء بعد ذلك لاعتقاده بضمان نتيجته، ونتيجة لذلك عادت منطقة السار إلى المانيا بعد أن قبل أهل هذا الأقليم الانضمام إلى المانيا فى استفتاء حر كانت نتيجته ٩٠%.

يضاف إلى ذلك قيام هتلر بتسليح منطقة " رينانيا" المنزوعة السلاح وجعلها منطقة عسكرية، مما اثار ثائرة فرنسا، وجعلها تطالب بريطانيا بالعمل الجماعى ضد هتلر، وإلى جانب ذلك حاول هتلر ضم الممر البولندى، واتفق مع روسيا على اقتسام بولندا.

كل هذه المؤشرات كانت بمثابة النذير بقيام أزمة دولية قد تقلب موازين الأمور فى العالم، وهذا ما تحقق فعلا بنشوب الحرب العالمية الثانية.

ومما سبق يتضح أن ظهور البولشفية والفاشية والنازية قد غير الكثير من أفكار النظم التى كانت سائدة فى العالم، وعند مقارنة هذه النظم الثلاثة السابقة ببعضها يتضح مدى التشابه والاختلاف بينهما فمع أنها تؤكد على حقوق الجماعة القومية تجاه حقوق الفرد، وتغلى فى سلطة الدولة، وتقوم على نظام الحزب الواحد، فانها تختلف فى وجهات النظر الاجتماعية والاقتصادية، فالشيوعية لم تميز جنس على آخر بعكس النازية التى ترى أن العنصر الجرمانى هو أعظم الأجناس.

هتلر موسوليني

obeikan.com